أثر الحياة السياسيّة
في تباين تراجم الشعراء في العصر العبّاسي
بشّار بن برد ـ أبو نوّاس ـ المعرّي

د. محمد رضا خضري
ج. الشهيد بهشتي طهران ـ 2015

الملخص: تكمن جدارة وأصالة هذا البحث وقيمته العلّمية، في خوضه موضوع تباين تراجم الشعراء والجدل الدائر حوله وعلاقته المباشرة بالسياسة والحياة السياسيّة، وفي بيان الخلافات التي برزت على هامش هذا الجدل لتوضيح الحقيقية في ما يتعلق بأصحاب التراجم في هذا المجال.

ويتناول البحث القضايا الأساسيّة العالقة التي تدور في فلك تباين التراجم وأهمّها قضية السياسة وأثرها في الحياة الأدبية، وكتابة التراجم وأهمّ المؤثرات في كتابات أصحاب التراجم، وقضية تأثير الحياة السياسيّة على تباين ترجمة كلٍّ من بشّار بن برد وأبي نوّاس وأبي العلّاء المعرّي.

ويستنتج البحث بأنّ سبب هذا التباين لا علاقة له بالحقيقة والواقع، بل إنّ أسباباً عديدة منها اضطراب الحياة السياسيّة، وتعدد المذاهب والأجناس والأعراب في ذلك العصر ساهمت في بروز هذا التباين.

Abstract : The freshness, the originality and the scientific value of this study stems from its subject matter that deals with the discrepancies apparent in poets` biographies and the dispute which surrounds these discrepancies and their direct relevance to politics and political life.

The study probes the essential cases that hang on the mentioned discrepancies namely the case of politics and its impact on literary life and on biography writings especially the writings of the writers of this very field, plus the case of political life influence on the differences in BashaarIbnBurd, Abu Nuwas, and Abu-l- Alaa` Almaarri`s biographies.

Finally this study concludes that the reasonable cause of these discrepancies has no relation with the factual biographical matter save other causes relate to political life turmoil and sectarian, ethnic conflicts contributed to the emergence of these discrepancies at the relevant period talked about in the study.

التمهيد : يكاد يمر ما يقارب قرن من الزمان على العالم الإسلامي حتى الآن حيث يمكن تسمية هذه الفترة بعصر الخضرمة الذي بات الناس فيه يحسون بمرارة التخلف وضرورة الاستيقاظ من سباته حيث بدت تباشير تبلور العديد من الرؤى والتيارات الفكرية والمذهبية الجديدة التي ظهرت إلى الوجود في ما بعد وتحديداً في مستهل العصر العبّاسي، وبدءاً من التيارات السياسيّة مروراً بالحركات الأصولية ووصولاً إلى النزعات القومية.

وقد ركز اهتمام كلّ واحد من هذه التيارات على إعادة صياغة جديدة من السلطة السياسيّة التي تضمن تحقيق التقدم المنشود من جهة، وإعادة المكانة التي كانت تحظى بها الأمة العربية والإسلامية في عصر النبي (ص) والخلفاء الراشدين من جهة أخرى، إلا أنّ العديد من الظروف والعوامل تضافرت لتجعل الاختيار صعباً وعسيراً أمام كلّ تيار من هذه التيارات. وإذا كنا نحاول التمييز بينها فليس ذلك إلا من قبيل التصنيف في سبيل الفهم، لأنّ هذه العوامل متداخلة ومتشابكة في ما بينها، ولعلّ الدكتور عزالدين إسماعيل أوجز الكلام في هذا المقام حيث يقول: إنّ العصر العبّاسي عصر معقد بالغ التعقيد، ومتداخل في الوقت نفسه تداخلاً مذهلاً وفي بعض الأحيان مربكاً، ومن ثم فإنّ فهم أي مكون من مكوناته بمعزل عن المكونات الأخرى لا يمكن أن ينتهي إلى تصورات كاملة أو دقيقة. فهناك -على سبيل المثال- الصراع بين الشيعة والعبّاسيين حول شرعية الحكم، وفي الوقت نفسه هناك الصراع بين المعتزلة وأهل السنة، لكن الشيعة أيضاً كانوا في صراع مع أهل السنة، دون أن يكون هناك أدنى وئام بين العبّاسيين (الطرف الثاني في الصراع الشيعي العبّاسي) وبين أهل السنة على مدى مائة عامّ من حياة الدولة[1].

وممّا زاد من صعوبة ذلك أنّ المسائل السياسيّة اتخذت طابعاً دينياً، إذ لم تتخذ الأحزاب الشكلّ السياسي البحت، بل اصطبغت بصبغة دينية قوية،

وصار لكلّ حزب سياسي فرقة دينية، وأصبح الذين يقتتلون سياسياً يقتتلون دينياً، وبدل أن يتصف الحزب باسم سياسي يدل على المبدأ السياسي الذي يدعو إليه اتخذ له اسما يدل على المذهب الديني الذي ينتمي إليه، كالشيعة والخوارج والمرجئة، وبدل أن يتحاجوا بما ينتج عن أعمالهم من مصالح ومفاسد أخذوا يتحاجون بالكفر والإيمان والجنة والنار..ولو دققنا النظر مثلاً في مسألة كمسألة مرتكب الكبيرة أكافر أم مؤمن فالظاهرة أن بحثها لم يكن بحثاً لاهوتياً بحتاً، وإنّما منشؤها حكم الأحزاب بعضها على بعض، وإنّ الخلاف السياسي ساق تلك الأحزاب الإسلامية إلى صبغ الخلاف صبغة دينية وانساق المسلمون بعد ذلك إلى الخلافة في الفروع حتى تكونت من كلّ منهم فرقة لها خلاف في الأصول والفروع على مر الزمان[2].

ولم يكن حظ الأدب قليلاً من هذه الحالة المربكة التي سادت العصر العبّاسي، إذ تأثر بها تأثيراً فادحاً خاصّة وأنّه كان ولايزال أداة التعبير لما يحدث في المجتمع الإنساني آنذاك، فليس من السهل فهم هذا الأدب إلا في إطار ذلك المصطخب الزاخر بصراعات العصر، وإذا أراد القارئ فهم شعر مدحي لأحد الشعراء دون العناية بما حدث وراء الكواليس فهذا أمر شبه المستحيل، فلا بدّ أن يعرف لم مدحه وبم كان المدح؟ إذ ليس في مقدورنا أن نتحدث عن صدقه أو كذبه في هذا المدح دون أن نجيب عن هذين السؤالين. ولكي نجيب عن هذين السؤالين لا بد أن تكون خريطة المجتمع بكلّ تفاصيلها وتعاريجها واضحة أمامنا.

ونحن لسنا بحاجة هنا إلى التعرف على أصول الأدب ومفاهيمه ومناهجه، ولكن الذي يعنينا هو أن نعرف أنّ الأدب لا يسمى أدباً إلا إذا اتصل بالحياة وعبر عنها، واستمد وجوده منها، والأديب لا يسمى أديباً إلا إذا تمثل وقائع الحياة وامتزج بها واتحد معها، ثم عبر عنها ممزوجة بإحساسه وشعوره، وأن يبتعد عن الدوائر والمؤسسات التي تحاول ترسيم الأدب وتدجينه وتطويعه

لخدمة مصالح وأهداف النظام السياسي القائم. والأدباء الذين تقطعت أسباب الصلة بينهم وبين الناس، فلا يعيشون إلا في ذواتهم، ولا يعبرون إلا عن أحاسيسهم وعواطفهم الفردية. والدولة أداة ضغط وإكراه وتقنين، بينما الأدب لا يطلب حاجة كما يطلب الحرية. وقد تنبه الأستاذ عمر الدسوقي في كتابه " النابغة الذبياني " إلى شيوع هذه الظاهرة في الشعر العربي، حيث صور كيف أنّ شعراء العرب منذ النابغة قد اتخذوا شعر المديح وسيلة للتكسب والرزق، وبين في ثنايا حديثه الأضرار التي جرتها هذه الظاهرة على الشعر العربي[3].

الإشكالية : أثرت الحياة السياسيّة، في العصر العبّاسي من حيث تنوعها وتعددها في الخلاف في تراجم الشعراء ورواية أخبارهم. ويكاد يكون كتاب الاغاني لأبي فرج الاصفهاني أهمّ مثال على التراجم والروايات والأخبار المتناقضة ومن الواضح أن سبّب هذا التناقض ليس الحقيقة والواقع، بل هناك أسباب عديدة منها ما يعود إلى اضطراب الحياة السياسيّة، وتعدد المذاهب والأجناس والأعراب في ذلك العصر، فانحاز الرواة والمترجمون في خضمّ التغيرات في السياسة والسلطة إلى غير الواقع بل إلى ميولهم وأهوائهم، ومن هذه الأسباب أيضاً ما يتصل بطبقة الشعراء، وبنية الشاعر العقلية حيث يكون هنا للخيال حظّ كبير، وكذلك للعواطف، والشاعر ليس فقيهاً، وقديما قالت العرب: أعذب الشعر أكذبه.

الدراسات السابقة: وإذا كانت شخصية هؤلاء الشعراء قد حظيت بكثير من الدراسات المعاصرة لفنهم وشعرهم، كدراسة الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه مراجعات في الأدب والفنون، والدكتور نجيب البهبيتي في كتابه تاريخ الشعر العربي، ودراسة الأستاذ طاهر بن عاشور في مقدمة ديوان بشّار بن برد والأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني في كتابه بشّار بن برد، والدكتور محمد النويهي في كتابه شخصية بشّار، والدكتور

شاكر الفحام في كتابه نظرات في ديوان بشّار، والدكتور طه حسين في كتابه مع أبي العلّاء المعرّي في سجنه، والدكتور شوقي ضيف في كتابه العصر العبّاسي الأوّل، والدكتور مصطفى هدارة في كتابه اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، فإنّ الدارسين على اختلاف مناهجهم لم يبادروا بمعالجة مشكلّة أسباب تباين التراجم التي أثارتها مصادر السلف، وعلى الرغم من القيمة الأدبية الكبيرة لهذا الموضوع فأنّه لم يحظ بعنايتهم ولم يظفر ببحوث خاصّة فيه تجلى نواحيه وتكشف غوامضه، إلا أنّ الدكتور عبد اللطيف عمران ألقى بعض الضوء على هذا الموضوع في كتابه القيم أبحاث في الشعر العربي العبّاسي فجهوده قيمة ، ونحن على يقين أنّ المنهجية في البحث والموضوعية في الرؤية كلّها أمور تسعف الباحث في الوصول إلى آراء قريبة من الصواب.

السياسة وأثرها في الحياة الأدبية: إنّ كلّاماً كثيراً قد امتد في الأوساط العلّمية والأدبية حول مفهومي الأدب والسياسة والعلّاقة بينهما، وقد أنجز فلاسفة وعلماء أكاديميون وباحثون معنيون أعمالاً مهمّة حول المفاهيم، اشير هنا إليها بصفتها علامات أساسية، دون أن اقف عندها بالتفصيل، حتى لا يقع البحث في إطناب لا مسوغ له؛ وقد توسط المفكر البريطاني تيري ايجلتون (tiry iglitone) كثيراً من هذه الأعمال في الإشارات المتوالية إلى الأدب ومدى علاقته بالسياسة، وحصر الإجابة في تأكيده أنّ نظرية الأدب الحديثة جزء من التاريخ السياسي والأيديولوجي، وهي مرتبطة في المعتقدات السياسيّة والقيم الأيديولوجية، ولا تقوم على الجمال الخالص، وكلّ نقد أدبي هو في الأساس نقد سياسي[4]، وقد أدرك نجيب محفوظ هذا الارتباط بين الأدب وبين ما هو سياسي عندما قال: ليس هناك حدث فني بل حدث سياسي في ثوب فني[5]، ويتطرف المعلم الأوّل أرسطو عند ما يصف الإنسان بأنّه حيوان سياسي بالفطرة[6].

وإذا نظرنا إلى إشكالية العلّاقة بين الأدب والسياسة نرى أنّ العلّاقة بين الطرفين هي علاقة تعارض أو تضاد في كثير من الأحوال، يحكمها الشك وعدم الثقة، وهي علاقة تداخل أو ارتباط في كلّ الأحوال، ففي الصورة الأوّلى تجد السياسة نفسها الرائدة والحاكمة على الإطلاق، فبينما الأدب هنا لا يرى نفسه أقلّ من ذلك، بل يزيد في دوره أو ديمومته وقيمته أحياناً على السياسة التي تحاول احتكار الريادة والقيادة وتوجيه الحاضر والمستقبل. وفي هذا السياق أكد أبو حيان التوحيدي على اتخاذ موقف الحيطة والحذر في التعامّل مع سياسة السلطان باعتباره الرجل الأوّل في السلطة، فنقل في الليلة التاسع عشرة من كتابه الإمتاع والمؤانسة حيث يقول: قال حميد بن الصيمري لابنه: اصحب السلطان بشدّة التوقي كما تصحب السبع الضاري والفيل المغتلم والأفعى القاتلة، واصحب الصديق بلين الجانب والتواضع، واصحب العدو بالإعذار إليه، والحجة إليه في ما بينك وبينه، واصحب العامّة بالبر والبشر واللطف باللسان[7].

وفي الصورة الثانية فلا بدّ من وجود العلّاقة والارتباط بينهما، ألم يجعل ابن خلدون نصف أمر السلطة لأهل السيف والنصف الثاني لأهل القلم؟ فقد كتب في مقدمته أنّ " السيف والقلم كلّاهمّا آلة لصاحب الدولة"، وأضاف أنّ الحاجة في أول الدولة إلى السيف أشدّ من الحاجة إلى القلم " لأنّ القلم في تلك الحال خادم منفذ للحكم السلطاني". أما في آخر الدولة حيث تضعف " تحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف". بينما في وسط الدولة يتراجع السيف لصالح القلم لأنّ أرباب الأقلام يصيرون آلته التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه...[8] .

ومن خلال بحثنا هذا نجد أنّ الأدباء والشعراء في موقفهم تجاه السلطة يصنفون في ثلاث فئات: الأوّلى: أديب صاحب الرؤية الذي يدافع عن الحق وقضايا الإنسان، أملاً منه في تحقيق العدل وتراجع الظلم، ولعلّ

الشعراء الصعاليك الذين ناضلوا لأجل الإنسانية خير مثال على هذه الفئة، والثانية: وهو الأديب المنحاز للسلطة الذي يسوغ أعمالها السياسيّة وممّارساتها الإدارية، وقد يلجأ أهل هذه الفئة إلى المداراة أو الصمت أحيانا، والدافع الأساسي وراء علاقته بالسلطة ليس إلا المصالح والمنافع الشخصية، وقد أطلق جان بول سارتر على هذه الفئة اسم" المثقف المزيف " واعتبرها العدو الألد للمثقف[9]، والثالثة: وهو الأديب الملتزم بحزب شمولي، أو نظرية ثابتة في السياسة، كان قد أعلن انحيازه لها، بل لعلّه قيدّ نفسه بالنظرية وهو يحلم بتطبيقها.

كتابة التراجم: تعد كتابة التراجم من أهمّ الأعمال الأدبية التي تهتم بتدوين التراث الإنساني، وقد تطور هذا النوع من الكتابة عبر مختلف العصور الأدبية، وحسب اختلاف الأقطار الإسلامية منذ عصر التدوين إلى يومنا هذا، وربما لا نجد تعريفاً جامعاً مانعاً أو إطاراً جاهزاً يستقر في ظلاله هذا الفن ولا يتجاوزه إلى غيره.

وكتابة التراجم تعني بتعريف الرجال وذكر نشأتهم وأخبارهم والحديث عن مؤلفاتهم ومآثرهم العلّمية، وخصائصهم النفسية، ومكانتهم الاجتماعية، وكذلك التعرّف على كثير من القيم الفكرية والثقافيّة والاجتماعيّة للعصر الذي عاشوا فيه.

ومن أشهر كتب التراجم في هذا المجال كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ت 231هـ)، والشعر والشعراء لابن قتيبة (276هـ)، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (356هـ)، وطبقات النحويين واللّغويين للزبيدي (379هـ)، ومعجم الشعراء للمرزباني (384هـ)، ويتيمة الدهر للثعالبي (429هـ)، والذخيرة لابن بسام الشنتمري (524هـ)، ونزهة الألباء لابن الأنباري (577هـ)، و معجم الأدباء لياقوت الحموي (626 هـ)، وإنباه الرواة للقفطي (646هـ)، وفوات الوفيات لابن

شاكر الكتبي (764هـ)، والوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (764هـ)، وبغية الوعاة للسيوطي (911هـ)، ومن أهمّ كتب المعاصرين في هذ المجال كتاب الأعلام للزركلّي.

ويختلف منهج المترجمين في تقديم كتاباتهم بحسب الأشخاص والأماكن والعصور، حيث هناك سمات عامّة، وعناصر مشتركة يعتمدون عليها ويستغلونها في كتابة تراجمهم.

وممّا لا شك فيه أنّ هناك علاقة وثيقة بين فن الترجمة وحركة التأليف، بحيث ينظر إليه على أنّه حلقة من أهمّ حلقات هذه الحركة، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بمؤلّفات القدماء الذين عُنوا بتدوين تراجم الصحابة، وطبقات المحدثين لما لذلك من صلة بأصول الدين والتشريع الإسلامي، ثم امتد هذا الاهتمام إلى العناية برواية اللّغة والأدب، فتعددت حلقاته، واتّسعت حتى شملت أجناساً من طبقات الرّجال والنساء من كتّاب وشعراء، ولغويين ونحويين، فظهرت الكتب المصنّفة في تراجم الشعراء، والكتب المصنّفة في تراجم اللّغويين والنحاة، والكتب المصنّفة في تراجم الأدباء عامّة[10].

وما إن نصل إلى العصر العبّاسي حتى نجد أن الدولة قد ازدادت اتساعا وأن الصلات بين العرب وغيرهم من الأمم الأخرى قد ازدادت بدورها أيضا نتيجة اتصالهم المباشر بغيرهم من الشعوب المجاورة، فقد فتح العرب عيونهم على آفاق جديدة من الحضارة والثقافة في هذا العصر لا عهد لهم بها، لقد أدرك العبّاسيون أن الترجمة أحد عوامل ازدهار الثقافة، فشجعوا عليها ودفعوا العلّماء والكتاب للاهتمام بهذا التيار، وأشرق صبح جديد في حياة الترجمة كانت شمسه دولة بني العبّاس، وتتجلى ذروة حركة الترجمة أيام المنصور (136- 158 هـ) والرشيد (170 – 193 هـ) والمأمون (198- 218هـ) فقد حقّقوا رواجاً لحركة الترجمة لم تشهده العصور السابقة وإذا عقدنا

مقارنة بين عصر بني العبّاس وما قبله يتبين لنا رجحان كفّة هذا العصر من حيث ازدهار الترجمة فيه ووصولها الى مستويات متقدّمة حتى أصبحت علما مستقلا[11].

أهمّ المؤثرات في كتابة التراجم: وقد عاش الناس في هذا العصر في امتزاج وتوليد بين مختلف العناصر والأجناس، وفي صراع شديد بين الآراء والمذاهب، وقد انعكس كلّ ذلك في صنوف الأدب شعراً ونثراً، وكان لشعرائنا بشّار وأبي نوّاس وكذلك أبي العلّاء المعرّي حظّ كبير في تصوير بيئتهم على مختلف حياتهم، حيث غدت آثارهم مصادر أساسية لدراسة البيئة العبّاسية التي يصح فيه القول: إنّ الحياة العبّاسية كانت عبارة عن مسجد وحانة، ومتهجد وزامر.

إنّ نظرة أصحاب التراجم إلى الشعراء وإلى حياتهم ليست واضحة بشكلّ كاف بحيث يمكن نسبتها إليهم بصورة جازمة، إذ يبدو أنّهم لا يعبرون عن وجهة نظر شخصية محدّدة في هذا الموضوع، لربّما كان للحياة السياسيّة واتجاهاتها أثر في هذا الموقف من الشعراء بصورة خاصّة لا سيّما إذا علمنا أنّ الشعراء كانوا يقترنون عادة بغير العرب، وبالفرس بصورة خاصّة، ونحن هنا نأتي إلى ترجمة كلّ واحد من هؤلاء ومعالجة الإشكالية لديهم.

ورغم ما كان أصحاب التراجم يبذلونه أحياناً من التحري والدقة، فإن التراجم كانت تتعرض لصدمات تكاد تكون أساسية وفي مقدمتها الأخطاء التي تلحقها بسبب التحريف، وكذلك ممّارسة الضغوط من قبل الحكام والخلفاء والسلاطين والسياسيين بشكلّ عامّ.

وقد تم ترتيب توالي ذكرهم وفق معيار الزمن حيث كان قدم سنة الوفاة هو الذي يقدّم ذكر الأديب على من يليه وكانت البداية مع بشّار بن

برد أحد الشعراء المخضرمين الّذين أدركوا نهاية الأموية، وعاشوا بقية حياتهم في ظلّ العبّاسيين، والختام مع أبي العلّاء.

بشّار بن برد: كانت شخصية بشّار ولا تزال موضع خلاف وجدل بين الأوساط العلّمية والأدبية، فالخلاف مستمر في عدد سنوات عمره، وفي سنة وفاته، وأسباب وفاته، وهل ولد أعمى أم بصيراً؟ وفي إيمانه أو زندقته، وكذلك في قيمة شعره. وأما المتّفق عليه في أمر شخصية بشّار فنشير إليه هنا بالإيجاز: هو بشّار بن برد بن يرجوخ بن أزدكرد بن شروستان فارسي الأصل من طخارستان (غربي نهر جيحون) ونسبه يرجع إلى امرأة "عقيلية"، نشأ في البصرة وقدم بغداد، واتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط، ودفن بالبصرة[12]. وقد ولد بشّار أعمى جاحظ الحدقتين مجدور الوجه ضخم الجسم[13].

ومن الصّعب تحديد سنة ولادة بشّار بشكلّ واضح ودقيق، خاصّة وأنّه كان من الموالي أيام بني أمية، إذ لم يكن لهم شأن في أوجه الحياة كافة، ولذلك نرى طاهر بن عاشور ذكر في مقدمة تحقيق ديوانه ودون سند أنّ مولده كان سنة 96 تقريباً[14]. وأما ما يزيد الأمر لبساً فهو الخلاف المذكور لدى القدماء في سبب وفاته، وتحديد سنة هذه الوفاة، وفي عدد السنوات التي عاشها، فذكر ابن المعتز في طبقاته قائلاً: كانت وفاته سنة سبعة وستين ومائة، وقيل سنة ثمان وستين ومائة[15].

وكما كان النقاد لم يتفقوا على سنة وفاة بشّار فأنّهم أيضاً لم يتفقوا على سبب وفاته، حتى إنّ أبا الفرج الإصفهاني نقل أربع روايات متضاربة في هذا الشأن، وذلك على النحو التالي: أنّه قتل لهجائه الخليفة المهدي، كما ينقل خبراً يجعل سبب قتل بشّار هجاءه والي البصرة صالحاً بن داوود أخاً يعقوب بن داود وزير المهدي، وكذلك ينقل أنّه قتل لفجوره ومجونه، وفي الخبر الرابع والأخير ينقل بأنّه قتل مظلوماً[16].

وهذا التباين في الرأي لا يزال مستمراً حتى يومنا هذا، أما بالنسبة إلى عقيدة الرجل، فمن النقاد من نظر إليه على أنّه فاجر زنديق جنى على نفسه كما يذهب إلى ذلك العقاد في مراجعاته[17]، ومنهم من يدافع عنه، ويبعد عنه تهمة الزندقة كالأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني الذي رأى أنّ أقوال بشّار في المجون والعبث لا تقترن بالأفعال، حيث قال: وجملة القول أنّ تهمة الزندقة إنّما جاءته ولصقت به، في ما أرى، من طول لسانه، على الأكثر دون فعله[18].

وقد حاول الكثير من النقاد والباحثين أن يكشفوا النقاب عن مشكلّة أخرى تضاف إلى الخلاف والتساؤل حول شخصية بشّار، وهو هل ولد بشّار أعمى أم أنّه ابتلى بالعمى بعد زمن من ولادته؟ إذ زعم ابن المعتز أنّ بشّارا كان كفيفاً قبل موته بأربعين سنة[19]، بينما يروى أبو الفرج الإصفهاني خبراً يحسم الخلاف، حين يذكر قول الأصمعي وهو يؤكّد أنّ بشّار ولد أعمى فما نظر إلى الدنيا قطّ[20].

ولم تكن شخصية بشّار وحدها هي المجال الوحيد الذي ظهر فيها الخلاف بين الباحثين والدارسين والنقاد وإنّما كان المجال الشعري كذلك من أبرز المجالات التي ظهر فيها الخلاف، حيث يختلف النقاد في جمع أشعاره، وفي قراءة بعض أبيات شعره. فنحن لا نجد أحداً من القدماء تحدث عن ديوان بشّار، وها هو ابن النديم يقول في هذا المضمار: ولم يجتمع شعره لأحد، ولا احتوى عليه ديوان، وقد رأيت منه نحو ألف ورقة في الصفحة منها مقدار عشرين سطراً، وقد اختار شعره جماعة[21].

وهذا الكلام إن دلّ على شيء فإنّما يدل على أنّ ما يتداول بين الناس حول ديوان بشّار، لا يمكن أن تكون هي مجموع شعر بشّار أبداً[22]، ومن أهمّ الأسباب التي اراها هي: أنّ بشّار نظم شعراً كثيراً جداً بحيث يصعب على مؤرخي الأدب ورواته أن يجمعوا وينقلوا ما تفيض به قريحته، وهذا

ما يؤكده أبو الفرج الإصفهاني حيث يقول: أطبع الناس بشّار والسيد وأبو العتاهية، وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته[23].

ولم يقتصر التباين على مجال شخصية بشّار ومجال شعره فحسب، بل لقد تجاوز كذلك إلى الجدل حول القيمة الفنية لشعره، حيث اختلف الناس في تقيمهم منذ زمن بعيد والتمسوا في سبيل ذلك مسوغات لآرائهم، ولعلّ وجود الإسفاف وكثرة الألفاظ العادية المكشوفة في أشعاره خير دليل على ذلك، ألم يقل بشّار:

ربابة ربة البيت ❖❖❖❖ تصب الخل في الزيت

لها عشر دجاجات ❖❖❖❖ وديك حسن الصوت [24]

ولكن للدكتور عبد اللّطيف عمران رأي آخر حول هذا الموضوع حيث لم يعتبر هذه المشكلّة في شعره مشكلّة كبيرة أساسيّة، لأنّنا نجد هناك الكثير من القصائد الرائعة في أشعاره والتي تعد من عيون الشّعر العربي وتكاد تحجب عيوب شعره وشخصيته و كان بشّار معتداً بشعره واثقاً من فنّه ومن ذاته الإبداعية فكان يقارع الحجّة بالحجّة [25].

وأما السؤال الأساسي الذي يطرح نفسه هنا، فهو لماذا كلّ هذه التناقضات والخلافات حول حياة هذا الشاعر؟ فهل كان الشاعر خارجاً عن سربه؟ وما الّذي كان يميزه عن سائر الشعراء حتى تأخذ عليه وابل من النقد والشكوك ؟ وللإجابة على السؤال علينا أن نتوقف عند بعض الملاحظات الأساسيّة:

أولاً: إنّ على رأس المشكلّات التي تواجه الباحث عند التعرض لحياة بشّار، مسألة قد تبدو غريبة بعض الغرابة، فليست هي في تلاعب أيدي أصحاب التراجم والكتّاب ولاهي في اضطراب الروايات التي نقلت عنه، وإنّما هي مشكلّة ساعدت على كلّ هذه الأمور معاً وسهّلت مهمّة المتلاعبين تلك

هي تنشئته القاسية والصعبة التي مرّ بها، حيث أحس منذ نعومة أضافره بالولاء وأبوه كان طياناً وأخوه جراراً والأهمّ من كلّ ذلك أنّه لم يؤت حظاً من الجمال، وهذه كلّها أمور خلفت في نفسه ألماً وحقداً وأثارت فيها المرارة والسخط.

ثانياً: طريقة بشّار في نظم الشعر مسؤولة عن تسهيل مهمّة التدخل في أمر أشعاره التي نظمها والقصائد التي طلع بها على جيله بشتى الموضوعات وشتى الآراء والأقوال، فمن جملة غرائب بشّار في قول الشعر، التي يقر هو نفسه بها، ما قام به هو باستجابة عواطفه الشعبية واقترابه في شعره من أبناء الشعب لغة وعاطفة[26]، أو الانتقال من قصيدة النخبة إلى قصيدة الشعبية.

ثالثاً: كان بشّار مولعاً بالهجاء المكشوف والسخرية اللاذعة، وكذلك كان قادراً على خلق الصورة الفنية التي قد لا يرضى عنها الذوق، والسبب في ذلك أنّ بشّاراً كان يعاني من آفة العمى التي زرعت بدورها مشاعر السخط والغضب في نفسه على الدنيا ، زد على ذلك نشأته في البصرة مركز الهجاء والهجائين حيث موطن النقائض بين الأخطل وجرير والفرزدق.

رابعاً: انتماؤه إلى طائفة شعراء الشعوبية المتميزين، وإذا أضفنا إلى هذا إسرافه في الغزل والمجون، خاصّة وأنّ الخصومة السياسيّة بين الأمويين والعبّاسيين في ذلك العصر هيّأت أرضية خصبة لتوجيه الاتهامات، فقد كان كلّ فريق منهم يعمل على إشاعة النقائض والمثالب للفريق الآخر ولو عن طريق الاختلاف والادعاء، وكان المجون والزندقة من هذه النقائض التي يذم كلّ فريق بها الفريق الآخر.

خامساً: لقد قاد بشّار بن برد حركة تجديدية تحريرية في الشعر العربي والتي عرفت في ما بعد باسم حركة المولدين أو المحدثين، وقد اعتبر الجاحظ بشّاراً أطبع شعراء المولدين[27]، وقبل الجاحظ كان الأصمعي قد فضّل بشّاراً على شعراء زمانه[28]، ولذلك كان من الطبيعي أن يختلف عن الشعراء الذين سبقوه والذين عاصروه، ومن هنا امتاز فن الشعر عند بشّار بميزات تفرده عن غيره، وأهمّ تلك الميزات وأقواها نزعته القوية نحو الصنعة الشعرية عامّة، ونحو البديع خاصّة، وقد أيد صاحب زهر الآداب هذا الكلام حيث يقول: وكان بشّار أرق المحدثين ديباجة كلام، وسمى أبا المحدثين لأنّه فتّق لهم أكمام المعاني ونهج لهم سبيل البديع فاتبعوه[29]. وتوقف الدكتور مصطفى هدارة عند تفاصيل هذا الموضوع قائلاً: فالواقع إنّ فنّ بشّار الحقيقي الذي استحق من أجله أن يكون رأس المحدثين في البديع يكمن في صنعته الشعرية المعنوية أو في الصورة الشعرية التي عليها المعول الأوّل في ناحية الشكلّ في الشعر. والحقيقة أيضاً إنّ الصورة الشعرية عند بشّار قد بلغت حداً كبيراً من الروعة لاحتوائها على تفاصيل دقيقة واستقصاء صاحبها لعناصر التجسيم والتصوير[30].

وبعد كلّ الذي قدمناه نستطيع أن نخرج بنتيجة هي أنّ لكلّ هذه الأمور بشكلّ أو بآخر أثر بين في بروز أو حدوث خلل في ترجمة حياة الشاعر، ويمكن القول أنّها كانت نتيجة حتمية للمواقف المثيرة للجدل التي اتخذها بشّار في حياته، والتي تعتبر ترجمة حقيقية لهذه المواقف. زد على ذلك الاضطرابات السياسيّة التي ساقت الشاعر نحو الاتجاه الذي يتطلب التلوّن والتناقض أحياناً، ومن هنا لا بدّ من الاعتراف أولاً بأثر الحياة السياسيّة في بنية قصيدة بشّار ومعانيها، فمذهب بشّار الشعري أيام بني أميّة يختلف عن مذهبه أيام بني العبّاس، فقد تغيرت معاني شعره من أثر البداوة والجزالة والخشونة، إلى أثر الحضارة والرقّة والنعومة، وثانياً هناك استغلال سياسي

ذكي من قبل الشاعر لتقلب الظروف السياسيّة والاجتماعيّة التي عاشها، فموقفه السياسي أيام بني أميّة يختلف كلّ الاختلاف عن موقفه السياسي أيام بني العبّاس، فقد تغيّرت معاني شعره من الإشادة بسلطة الأمويين إلى الاعتراف بأثر الفرس في الحضارة الاسلامية وغناء ثقافتهم وعراقة أصولهم وكذلك بالإشادة إلى الانفتاح السياسي الذي أطلقه العبّاسيون آنذاك.

أبو نوّاس : أبو نوّاس كبشّار من شعراء الموالي يسمى الحسن بن هانيء بن عبد الأوّل بن صباح الحكمي، شاعر العراق في عصره ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة وكان أبوه جندياً من جند مروان بن محمد آخر ملوك الأمويين، وقد التقى بأمه جلبان فأحبها وتزوجها وأنجب منها طائفة من البنين منهم أبو نوّاس وأبو معاذ، ورحل شاعرنا إلى بغداد فاتّصل فيها بالخلفاء من بني العبّاس[31].

شأن البحث في حياته، شأن البحث في حياة بشّار بن برد، حيث الخلاف بين النقاد والدارسين في سنتي ولادته ووفاته وفي أسباب وفاته والخلاف أيضاً في تدينه، قيل أنّه مؤمن وعلى علم بالفقه والتفسير وقيل أنّه زنديق فاسق ينكر القضاء والقدر والبعث والنشور وخاصّة في إبّان حياته.

فنحن نجد أنفسنا أمام باقة من التساؤلات الخلافية، وترك باب التساؤل مفتوحاً لا يعني غياب الجواب، بقدر ما يعني الموضوعية واستمرار المسألة حية حاضرة في العقل. ولعلّ بعث التساؤلات وتجددها سر من أسرار الأعمال الإبداعية الكبيرة للشخصيات الإبداعية الخالدة بحسب ما يذهب إليه الدكتور عبد اللطيف عمران في كتابه أبحاث في الشعر العربي[32].

لقد اضطربت روايات المؤرخين في أصل أبي نوّاس ونسبه، فيذهب بعضهم[33] إلى أنّه قحطاني يرجع نسبه إلى سام بن نوح، وعلى هذا فهو منحدر من أصل عربي. وذهب آخرون من القدامى والمعاصرين إلى أنّه كان من الموالي، ولم يكن يوماً عربياً وهو فارسي الأب والأم، ويؤيد هذا الرأي ابن المعتز

في كتابه طبقات الشعراء[34]، وابن خلكان في وفيات الاعيان، حيث يقول في نسبه: هو أبو علي الحسن بن هانيء بن عبد الأوّل بن الصباح المعروف بأبي نوّاس الحكمي الشاعر المشهور كان جده مولى الجراح بن الحكم والي خراسان، ونسبه إليه، ومن المعاصرين الدكتور شوقي ضيف يذهب إلى أنّه فارسي الأب والأم أيضاً[35].

كما اضطربت الروايات في سنة ولادته ووفاته، يكاد يكون ابن المعتز من أوائل الذين نقلوا سنتي ولادة ووفاة الرجل ومدة حياته على وجه التحديد وهو يقول: ولد بالأهواز بالقرب من الجبل المقطوع المعروف "براهبان" سنة تسع وثلاثين ومائة، ومات ببغداد سنة خمس وتسعين ومائة، وكان عمره خمساً وخمسين سنة، ودفن في مقابر الشونيزي في تل اليهود، ومات في بيت خمارة كان يألفها[36].

وإذا تأملنا في هذه الرواية لا نتردد في الحكم بأنّها غير صحيحة وتحمل في طياتها شكوكاً وريباً، فالشاعر عمّر إلى ما بعد مطلع 198 هـ تلك السنة التي مات فيها الخليفة الأمين ورثاه الشاعر، أما موته في بيت خمار فمشكوك فيه لأسباب منها وجود عدد من الروايات التي يذكر أصحابها عيادتها الشاعر في آخر أيامه، ونظمه مقطعات في العفو والزهد والمغفرة[37].

والاضطراب الأخير يرجع إلى مجالس أبي نوّاس وطبيعة علاقاته مع معاصريه، والمعروف أنّ شاعرنا كان يختلف إلى مجلس والبة بن حباب ليتعلم نظم الشعر وليكتسب ملكته، وليصل من ذلك كلّه إلى التصرف في المعاني وتوليدها، وهو يجتمع معه أحياناً على الشراب ويستمع إلى ما يتناشدونه من الأشعار. كما كان يختلف إلى مجالس علماء الكلام كالنظام وأكدّ الجاحظ هذا فروى أنّ الشاعر بدأ متكلّماً ثم انتقل إلى نظم الشعر[38]. كما كان يتردد إلى مجلس أبي عبيدة أحد رواة الشعر والمؤلفين. وقد أسرف المؤرخون في وصف شاعرنا بالتهتك والخلاعة وانضمامه إلى عصبة المجان وقالوا فيه بأنّه لا يستفيق من سكر حتى يدخل في معصية

أخرى، متنقلاً بين جارية وغلام مجاهراً بارتكاب المحرمات وبالتمرد على أركان الإسلام. وقد أثار الدكتور عبد اللطيف عمران تساؤلاً في هذا الصدد قائلاً: إنّ أوقات الجدّ وطلب العلّم في حياة أبي نوّاس هي أطول من أوقات المجون واللّهو، لكن كيف يكون الرأي حين الاطلاع على شعره غير القليل في العبث واللهو والتمرد على التقاليد والاعراف؟ فهل شخصيته الذاتية والإبداعية جمعت بين المتناقضات؟ أم أنّ تجربته كانت رحبة واسعة تقوم على التسامح والحرية وعلى الزهد والمجون، وعلى القديم والمحدث؟ [39]. لن نمضي في نقل مسائل الخلاف في هذا المجال فهي كثيرة، ولا يكاد ينتهي الحديث فيها، وللنظر في بعض الملاحظات الأساسيّة للإجابة على هذه الشكوك.

أولاً : وليس من شك في أنّ افتنان أبي نوّاس في وصف الخمر الذي سيطر عليه في كلّ ما كتب هو الذي أبرز مكانته في تاريخ الشعر العربي، وجعله بحق أستاذ فنّ الخمرية في الشعر العربي غير مدافع سواء من حيث الكميّة أو من حيث الكيفية، حسب تعبير الدكتور شوقي ضيف[40]. فلطول معاشرته لوالبة بن حباب وتردده على مجالسه واستماعه إلى ما يروى هنالك من الشعر أثر قوي لا يمكن نكرانه، حيث دفع بأبي نوّاس إلى أن يكون واحداً من اولئك الشعراء الذين مارسوا اللذّة والسعي إليها، والإسراف في طلبها ومن هنا نجد في بعض شعره الذي يدعو فيه إلى هذا الإسراف وإن أدّى إلى المعصية حيث يقول:

تكثر ما استطعت من الخطايا ❖❖❖❖ فإنّك بالغ ربا غفوراً
ستبصر إن وردت عليه عفوا ❖❖❖❖ وتلقى سيدا ملكا كبيرا
تعض ندامة كفيك ممّا ❖❖❖❖ تركت مخافة النار السرورا[41]

وممّا لا شكّ فيه أنّ موقفه هذا من الخمر ينعكس سلباً على الشاعر وعلى شخصيته، وذلك لسبب بسيط لأننا نعيش داخل المجتمع الإسلامي

الذي لا يرى أي مجال للدفاع عن الخمر بل يعتبره من المحرّمات، فهل يترك هذا الموقف في مجتمع كهذا أن يأخذ مجراه، وأن يمرّ مرور الكرام دون عقاب ولوم أو دون أيّ رد فعل جماهيري وشعبي وخاصّة من قبل الملتزمين منهم، ولعلّ عدم اهتمام الكثير من المؤرّخين والنقاد، وكذلك اضطراب الآراء حول ترجمة وحياة أمثال هؤلاء الشعراء، هو أمر طبيعي ويعتبر أقل عقاب لشاعر يعيش في مثل هذه المجتمعات التي تتصّف بالصبغة الدينية والإسلامية.

ثانياً: لا غرابة عندما نجد الشاعر أبا نوّاس يدافع عن اتجاه الغزل بالمذكر لأنّه كان منجرفاً فيه إلى جانب الأمين الخليفة العبّاسي. وعلينا أن لا ننسى أنّ الغزل بالمذكر لم يكن معروفاً في العصور السابقة وأغلب الظن أنّ شيوع الخمر وحاناتها في هذا العصر كان يقضي بأن يستخدم فيها كثير من الغلمان الفرس الذين يمتازون بجمال القسمات، ودقة الملامح وصفاء العيون، ممّا يزيد في جمال المجلس، ويضفي عليه بعض السحر والفتنة. وأما في تعليل هذه الظاهرة فيقول الدكتور السيد أحمد خليل: وربّما كانت من آثار امتزاج الحضارتين العربية والفارسية إذ كان الفرس يتخذون الغلمان لهذا الغرض ويختارونهم على النحو من الملاحة والجمال ليشاركوا في تمام المتعة بالخمر ومجالسها، وشرابها وربّما كان هؤلاء الغلمان يشاركون في الرقص، والغناء ودقّ الدفوف إلى جانب الجواري والقيان[42]. ويكاد يكون أبو نوّاس أول شاعر أضفى على الخمرة معطيات التمازج الثقافي ونتائج نشاط علم الكلام والترجمة، وأصبغ عليهما صفات وخصائص من خارج حقليهما الدلالي الذي عهده الناس من قبل[43].

وممّا لا شكّ فيه أنّ شيوع هذا الاتجاه الجديد في الشعر العربي غير مرحب به، حيث أثار قلقاً وانزعاجاً بين كافة أبناء الشعب الذي يعيش في مجتمع إسلامي يؤمن بالقيم الأخلاقية والإنسانية، وبالنظر إلى كراهة المجتمع وتنفره من هذه الظاهرة الماجنة التي تخالف طبيعة الذوق البشري السليم لم نجد لها الاستمرار والانتشار في ما بعد.

ثالثاً: فإنّ مقارنة يسيرة بين هاذين الشاعرين توحي بأنّهما يفيضان من معين واحد من حيث السهولة والسلاسة في التعبير ومن حيث الدعوة إلى التجديد في عمود الشعر وأنّهما جهرا بهذه الدعوة التي كانت تتردد في نفوس كثير من الشعراء الذين ضاقوا بالتقليد وقد أحسوا أنّه لم يعد يلائم تلك الحضارة الجديدة بما جاءت به من ضروب الترف وألوان الفتنة. وبالنظر لتقارب المواضيع التي أشرنا إليها آنفاً نستنتج بأنّ أي حكم يصدر على أحدهما فهو يشمل الآخر.

أبو العلّاء المعرّي: هو أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخي المعرّي، شاعر وفيلسوف ولد سنة 363هـ، ومات في معرة النعمان سنة 494هـ بعد أن مرض ثلاثة أيام ومات في الرابع، ومعرة النعمان بلدة بالشام بالقرب من حماة وشيزر، وهي منسوبة إلى النعمان بن بشير الأنصاري، أصيب بالجدري صغيراً فعمي في الرابعة من عمره، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، وانتقل إلى بغداد سنة 398، ولما مات وقف على قبره 84 شاعراً يرثونه[44]. سمى نفسه "رهين المحبسين" للزومه منزله ولذهاب عينيه.

ينحدر أبو العلّاء من أسرة عرفت بحسن السيرة، وبالتقدم في الفقه والقضاء والعلّم والأدب، وقد رسم لنا ياقوت الحموي هذه الناحية من حياته خير ترسيم، حيث يقول: وكان في آبائه وأعمامه، ومن تقدم من أهله وتأخر عنه، من ولد أبيه ونسله فضلاء، وقضاة وشعراء[45].

يبدو الاضطراب في شخصية المعرّي وفي مذهبه وفي آثاره واضحاً من كتب التراجم التي وصلتنا، ومن الصعب أن يفصل الباحث بين الآراء المختلفة برأي وثيق وجاد، فمن أمثلة ذلك:

أولاً : من الصعوبة بمكان قبول خبر سفره إلى بغداد ولقائه الخليفة القائم بأمر الله، وما جرى بينهما حول شعر المتنبي، وذلك لسببين اثنين:

أولهما: لم نجد تصريحاً للمعري حول زيارته بغداد ولقائه بالخليفة، ثانيهما: إنّ القائم بالله وصل إلى الخلافة بعد مغادرة المعرّي بغداد بعشرين عامّا بعد القائم بين عامّي(422 – 467)، يقول ابن خلكان : دخل المعرّي بغداد سنة 398 هـ ودخلها ثانية سنة 399هـ وأقام فيها سنة وسبعة أشهر، ثم رجع المعرة ولزم منزله وشرع في التصنيف، وأخذ عنه الناس وسار إليه الطلبة من الآفاق، وكاتبه العلّماء والوزراء وأهل الأقدار، وسمى نفسه "رهين المحبسين" للزومه منزله ولذهاب عينيه. وما ينقله دولة شاه في كتابه تذكرة الشعراء من أنّ المعرّي قصد الخليفة لينشده، وله أماديح فيه، وأنّ الخليفة كان يستهزأ به، ويضحك وأركان دولته به، غير صحيح[46].

والجدير بالذكر أنّ المؤرخين لم يبينوا أغراض رحلته تلك ولكنهم أشاروا إلى أنّها كانت بهدف طلب العلّم والسياحة والحرص على الشهرة بمدينة السلام، ويشير البعض بأن هذه الأمور تمت بسبب فقره وطلبه الغنى، ولكن القفطي والذهبي ينصان على أنّ عامّل حلب كان قد عارض أبالعلّاء في مواقف له، فانتقل إلى بغداد شاكياً متظلماً، وقد يكون الاضطراب السياسي في الشام آنذاك أحد الأسباب التي أخرجته وبغضت إليه المعرة فتركها ليقيم ببغداد.

ثانياً: ويكاد يكون التباين والاختلاف حول معتقده وزندقته وإلحاده من أهمّ الشكوك والاضطرابات التي جاءتنا حول هذا الأديب والشاعر الفيلسوف، ويبدو لنا أنّ هذه الظاهرة حول هذا الموضوع غير جديد، حيث تعرض له كبار الكتّاب والأدباء والمؤرخون والنقاد من القدامى والمعاصرين له، وهذا هو ياقوت الحموي ينقل لنا أن تلميذه أبا زكريا التبريزي حينما سأله المعرّي ما الذي تعتقد؟ أجاب التبريزي، فقلت في نفسي اليوم أقف على

اعتقاده، فقلت له: ما أنا إلا شاك، فقال: هكذا شيخك[47]. ومن المحدثين الذين يشكون في عقيدته الدكتور طه حسين في رسالته الدكتوراه حول المعرّي، إذ يتهمه بالشك والحيرة والارتياب والزندقة، وعلى الرغم من الآراء المتطرفة للدكتور طه حسين التي ذكرها حول المعرّي إلا أنّه يقول: "إن أبا العلّاء قد هداه عقله إلى أن لهذا العالم خالقاً، وإلى أن هذا الخالق حكيم. لا يشك في ذلك، أو على الأقل لا يظهر فيه شكاً... وهو إذا تحدث عن هذا الخالق الحكيم تحدث عنه في لهجة صادق يظهر فيها الإخلاص واضحاً جلياً. ولكنه عاجز عن فهم هذه الحكمة التي يمتاز بها هذا الخالق الحكيم".[48]

ولعلّ الدكتور عبد اللطيف عمران أكثر صواباً في رأيه حول إيمان الرجل حينما قال: إنّ إيمان المعرّي مقترن بالعقل أولاً وقائم عليه، ولهذا أسباب تعرف من طبيعة الحياة الدينية أيام المعرّي، إذ كثرت الروافد وتعددت الاجتهادات وتنوعت، وصار البحث في الفقه والاجتهاد والتفسير في أوجه في وقت ضعفت فيه الأمّة وخارت قوى حكامها فهانت النفوس وانتشر الغضب والفوضى والفسد والإفساد...[49]

ثالثاً : على الرغم من أنّ البعض يرى بأنّه شاعر وفيلسوف حقاً ولم يعهد المسلمون نظيراً له لا حديثاً ولا قديماً، ولكن يشير البعض بأن ليس له مذهب فلسفي خاصّ ينتمي إليه بل له اتجاهات مختلفة تخل بالمنهج الفلسفي إخلالاً بيناً.

رابعاً : لعلّ للفلسفة والاتجاهات الفلسفية المختلفة التي لم تلق في يوم من الأيام تأييداً إسلامياً وشعبياً في العالم الإسلامي والتي تأثر بها

أبوالعلّاء المعرّي، أثر كبير في تباين ترجمة هذا الرجل، حيث سهلت أو بررت لمعارضيه عملية توجيه التهم نحوه كالزندقة والكفر.

وإذن يمكننا أن نستخلص ممّا تقدم أن التباين الشديد الذي طرأ على ترجمة حياة المعرّي، لم يكن سببه الرئيس الخصومات السياسيّة أو العنصرية بقدر ما سبّبه اختلافات فكرية نظرية نتيجة هذا التطور المادي والحضاري الذي استوعبته الحاضرة، فخلفت وراء ظهرها كثيراً من المثل التي كان المجتمع يدين بها في طوره السابق.

وأما النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة فهي:

1 . كانت الأوضاع السياسيّة في هذا العصر معقدة ومضطربة بقدر ما كانت طبيعة المجتمع في ذاك الوقت معقدة ومضطربة. ومن الطبيعي أن نجد تأثير هذه الظاهرة واضح في مواقف الكثير من الشعراء والأدباء، ولذلك توهم بعض المترجمين الذين يعتمدون على رواية الخبر كما وصل إليهم، في تعريف هؤلاء الأدباء بصورة صحيحة.

2 . وإذا كان الناقد يعتقد بأنّ تباين تراجم الشعراء سببه ما وقع فيه المؤرخون من خطأ، فإنّ ذلك لم يكن على وجه القصد والعمد منهم، وإنّما سببه في أكثر الأحيان كان يعود إلى ما هو خارج عن سيطرة وإرادة المؤرخين، و إذا أردت قل يعود هذا الأمر إلى الذين كانوا يمارسون السلطات في دائرة أوسع وأشمل وهم ليسوا إلا أصحاب السلطات السياسيّة.

3 . وإذا أردنا تعيين أو تقييم مدى تأثير السياسة على ترجمة حياة كلّ واحد من هؤلاء الشعراء فاختلف ذلك باختلاف الزمان والمكان والظروف المحيطة بهم اختلافاً كلّياً، حيث نرى ترجمة بشّار جاءت متباينة عن ترجمة

نظيره أبي نوّاس وبطبيعة الحال ترجمة بشّار وأبي نوّاس اختلفت بما جاء في ترجمة أبي العلّاء المعرّي، ولكن التأثير السياسي في كلّ الأحوال كان موجوداً ولابد منه ولكن درجة هذا التأثير كان يختلف عند كلّ واحد عن الأخر.

4 . لعلّ أهمّ ما يلفت النظر في دراسة هؤلاء الشعراء الكبار والذي بات سمة مشتركة في حياتهم هو محاولتهم الجادة والحثيثة نحو التجديد والتبديل وخروجهم على الكثير من المعتقدات الدينية والفكرية والأدبية والتقاليد والسنن الدارجة والطقوس المتبعة، ويكاد يكون لتغيّر الحياة السياسيّة والاجتماعية والاقتصادية الذي طرأ على العصر العبّاسي أثر في ذلك، حيث دفع كثيراً من الشعراء وفي مقدمتهم بشّار وأبي نوّاس وأبي العلّاء المعرّي إلى التمرد والخروج على المألوف، وبرزت هذه الظواهر بروزاً جلياً في أشعارهم، ويمكن إدراج ذلك الخروج في خانات ثلاث بشكلّ عامّ وهي : الخروج الفني، الخروج الاجتماعي، والخروج الديني.

5 . لم تكن السياسة لوحدها العامّل الأساسي والوحيد في تباين تراجم الأدباء والشعراء، بل هناك عوامل أخرى مهمّة وأساسية لعبت دوراً لا يقل مكانة عن الدور الذي لعبته السياسة في هذا المجال، كالعوامل الاجتماعية والدينية والاقتصادية.

6 . ليس بين أيدينا . مع الأسف . من كلّ هذا الانتاج ترجمة واحدة عارية عن الاعتماد على النقل البحت، وبعيدة عن جمع الروايات والأقوال التي تتسم بالشكوك والظن والريب، ومن هنا أصبحت مهمّة القارئ في تمييز الخطأ من الصحيح أمراً في غاية الصعوبة.

7 . كانت إشكالية العلّاقة بين الأدب والسلطة هي إشكالية قائمة في مختلف الدول ولم تكن في الدولة العبّاسية فقط، وهي في الواقع الأمر علاقة مد وجزر وعلاقة يسودها الشد والصراع والحذر الأبدي، ويخطئ من يعتقد أنّ هذه العلّاقة هادئة سليمة بصفة مطلقة وتسودها الشفافية في الدول المتطورة.

قائمة المصادر والمراجع:

1 . أبحاث في الشعر العربي العبّاسي، عبد اللطيف عمران، منشورات جامعة دمشق، 2002

2 . البداية والنهاية، ابن كثير، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر

3 . بشّار بن برد، ابراهيم المازني، دار الشعب، القاهرة

4 . الاتجاهات الأدبية في العصر العبّاسي، السيد أحمد خليل، مكتبة الجامعة العربية ، بيروت

5 . اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري، مصطفى هدارة ، دار العلّوم العربية، ط 1988 بيروت

6 . البيان والتبيين ، عمر بن بحر الجاحظ، مكتبة الخانجي بالقاهرة

7 . الأعلام، خير الدين الزركلّي، دار العلّم للملايين، بيروت، لبنان

8 . الأغاني، أبوالفرج الإصفهاني، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1929

9 . الإمتاع والمؤانسة، أبوحيان التوحيدي بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة ، بيروت

10 . تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، بشرح بشّار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت

11 . تاريخ الأدب العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر

12 . حركة التأليف عند العرب، أمجد الطرابلسي، مكتبة دار الفتح، دمشق

13 . الحيوان، عمر بن بحر الجاحظ، دار الجيل، بيروت

14 . دفاع عن المثقفين، جان بول سارتر، ترجمة جورج طرابيشي، ط 1 دار الأداب، بيروت

15 . زهر الآداب، الحصري القيرواني، بشرح الدكتور زكي مبارك، المطبعة الرحمانية بمصر،1931

16 . ضحى الاسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان

17 . طبقات الشعراء، ابن المعتز، دار المعارف ، القاهرة

18 . في الأدب العبّاسي، عزالدين اسماعيل، دار النهضة العربية، بيروت، 1975

19 . المراجعات في الأدب والفنون، عباس محمود العقاد، مؤسسة الهنداوي للتعليم

20 . المرجع في النثر الأدبي في العصر العبّاسي، الدكتور عبد اللطيف عمران، منشورات جامعة دمشق

21 . مع أبي العلّاء المعرّي في سجنه، الدكتور طه حسين، دار المعارف بمصر، ط 14

22 . مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان

23 . مقدمة في نظرية الأدب، تيري ايجلتون، ترجمة أحمد إحسان، الهيئة العامّة لقصور الثقافة، القاهرة، 1991

24 . نابغه ذبياني، عمر الدسوق، دار الفكر العربي، مطبعة الرسالة، ط 1960

الندوات :

- ندوة التفكير اللساني والنظرية النقدية المعاصرة " جامعة تبسة، الجزائر 2013 .

- ندوة أبي العلّاء ، مقالة لعزالدين النجار، وزارة التعليم العالي، دمشق 72/1 :

الهوامش:

. في الأدب العباسي: 8 [1]

. ضحى الإسلام:3/5و 6[2]

. النابغة الذبياني : 85[3]

. مقدمة في نظرية الأدب: 37[4]

. مقالة بعنوان الأدب والسياسة للدكتور محمد قواسمة في جريدة الدستور الأردنية، بتاريخ 28 ديسمبر 2012 [5]

. المرجع نفسه[6]

. الإمتاع والمؤانسة :2 / 62 [7]

. مقدمة ابن خلدون : 275 [8]

. دفاع عن المثقفين: 25[9]

. حركة التأليف عند العرب: 175[10]

. راجع : مقالتنا التي قدمت إلى مؤتمر " التفكير اللساني والنظرية النقدية المعاصرة " بجامعة تبسة، الجزائر 2013 ، ص :4 [11]

. الأعلام :2/ 52[12]

. المرجع نفسه:3/ 128[13]

. مقدمة تحقيق الديوان:1/ 9[14]

. طبقات الشعراء: 21[15]

. الأغاني: 3/ 136[16]

. مراجعات في الأدب والفنون: 120- 121[17]

. بشار بن برد:49 [18]

. طبقات الشعراء: 22[19]

. الأغاني: 3/142 [20]

. المرجع نفسه: 3/ 126[21]

. أبحاث في الشعر العربي في العصر العباسي: 99[22]

. الأغاني: 3/ 149[23]

. المرجع نفسه :3/ 163[24]

. أبحاث في الشعر العربي في العصر العباسي: 109[25]

. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري: 198[26]

. البيان والتبيين: 1/ 41[27]

. الأغاني: 3/ 214[28]

. زهر الآداب : 3/ 119[29]

. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري: 606[30]

. الأعلام : 2/ 225[31]

. أبحاث في الشعر العربي في العصر العباسي: 174[32]

. تاريخ بغداد: 8/ 476[33]

. طبقات الشعراء: 193- 194[34]

. العصر العباسي الأول: 220[35]

. طبقات الشعراء: 193[36]

. تاريخ بغداد: 8/ 492[37]

. الحيوان: 4/ 45[38]

. أبحاث في الشعر العربي في العصر العباسي : 184[39]

. العصر العباسي الاول: 234[40]

. البداية والنهاية ، الجزء العاشر ، أبونواس الشاعر [41]

. الاتجاهات الأدبية في العصر العباسي: 89[42]

. أبحاث في الشعر العباسي : 182[43]

. الأعلام :1/ 157[44]

. معجم الأدباء : 3/128 - 123[45]

. ندوة أبي العلاء ، مقالة لعزالدين النجار، وزارة التعليم العالي ، دمشق : 1/ 72[46]

. معجم الأدباء : 3/ 126[47]

. مع أبي العلاء المعري في سجنه : 44- 45[48]

. المرجع في النثر العربي : 483[49]